طه حسين واللغة العربية

طه حسين (١٨٨٩ – ١٩٧٣م) علم من أعلام فكرنا المعاصر عاش حياته متعلماً ومعلماً ومناضلاً وداعياً من دعاة الحرية والتقدم والتعليم والثقافة العريضة، اجتمعت في شخصيته صورة عصره ، كانت حياته الخاصة جهاداً ، والعامة نضالاً ، عاش بين كفر الطماعين والسوربون فإذا به وهو الحريص على إلا تضل خطاه لا يضل ولا يتعثر ، لأنه أمسك بزمام عقله في كل هذه الرحلة الشاقة ، دافع عن العربية دفاعاً كبيراً لأنها لغة القرآن الكريم اللغة العربية الفصحى ، لغة الأجيال القادمة ، وعنها قال المستشرق أ. فيشر: { لا اعرف لغة أغنى من العربية ولا أسلس قياداً ولا أرق حاشية}..

وتأسيساً على حقيقة اللغة العربية في أنها أداة من أدوات الحياة العامة وأنها كائن حي ، دعا طه حسين إلى أصلاح التعليم اللغوي ورفض كل دعوة لتغييرها وإبدال حروفها بل بالعكس تمسك بها لأنها لغة القرآن الكريم ، جمع طه حسين بين ثقافات عميقة واسعة ومتعددة صبّها في عقله الخصب والذي اتحد بها وصهرها في بوتقة أفكاره وطبعها بطابع عبقريته وشخصيته واحدث في عالم النقد ضجة أيقظت نياماً وأثار في الفكر العربي ثورات حررته من قيوده وجموده ورسمت له طريقاً جديداً ....

أما مصادر ثقافته فتعود إلى بيئته المصرية وتراثها العربي القديم إذ يعد إن حفظ القرآن الكريم وألفية أبن مالك وبعض أجزاء كتب الأدب والشعر انتقل إلى الأزهر الشريف فنهل منه علماً كثيراً ولكنه تمرّد على

طريقة تعليمه فانتقل إلى الجامعة المصرية ، بعدها كان للثقافة الفرنسية دور كبير في حياته فلم يتغير لأن القرآن الكريم كان له الفضل الأول في عدم تغيره وبقائه مسلماً مخلصاً لإسلامه مؤمناً حقيقياً ، ومن مصادر ثقافة طه حسين أيضا التراث الكلاسيكي اليوناني والروماني ، وعند عودته إلى الجامعة المصرية مدرساً لهذه المادة فتح باباً أمام كثير من تلاميذه للدخول في هذا العالم الواسع محققين فيه دراسات وكتباً قيمة ، في أثناء ذلك لم يترك الاستعمار وعملاؤه العربية تسير في خطها المرسوم فقد تألبوا عليها وبدأت الدعوة إلى العامية تظهر وتأخذ طابعاً علمياً ، فوجدوا في لغتنا ضالتهم التهديمية بوسائل وأساليب عدة يقوم بها قسم من أبناء شعبنا العربي مع الأسف منفذين مخططات الاستعمار كما وصفهم الشاعر :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند

وتصدى للعدوة إلى العامية الشيخ إبراهيم اليازجي (١٨٤٧ – ١٩٠٦) وعبد العزيز البشري وعبد الوهاب عزام ومن تونس رد العابد المزالي على هذه الدعوة ورد أيضا من سوريا الدكتور اسعد أطلس على الدعوة المذكورة ومن فلسطين الشاعر النشا شيبي ومن العراق محمود شيت خطاب والدكتور مصطفى جواد (١٩٠٨ – ١٩٦٩) ومحمد بهجة

الأثري (ت ١٩٩٢) والدكتور حسين علي محفوظ (ت ٢٠٠٩) ، كل هؤلاء ردوا ردا عنيفاً على مروجي الدعوة إلى استعمال العامية.....

أما طه حسين فكان له موقف واضح من اللغة العربية فعندما كان وزيراً للمعارف اصدر قراراً بتعيين احد المدرسين ، ومضت مدة من دون أن يتسلم هذا المدرس عمله فقدم للوزير شكوى يقول فيها : (أنني لم أتسلم عملي بسبب نقص مصوغات التعيين) وعندما تلي هذا الخطاب عليه واستمع إلى كلمة (مصوغات) أمر بصرف النظر عن تعيين هذا المدرس ، وكتبت إليه مراقبة اللغة العربية بالوزارة تقول (نرجو انتداب المدرسان فلان وفلان إلى مدارس كذا وكذا) فأمر الدكتور طه حسين بأن يؤشر على الخطاب بما يأتي (يعاد إلى مراقبة اللغة العربية أو مراقبة محو الأمية)....

هاتان الحادثتان تؤكدان حرص طه حسين وتمسكه باللغة العربية كي لا تفقد صلتها بالحياة ولكي تظل أيضا وافية للتعبير عما يجد في حياة المتكلمين بها ، كما حرص طه حسين على أن يكون التعليم للشعب إذ قال : (التعليم حق للشعب وحق الشعب في مجانية التعليم قد أصبح مكتسباً) وأشار أيضا إلى ضرورة العناية بتعليم العربية في التعليمين الابتدائي والثانوي)، وقال أيضا: (ويجب أن يتعلم الشعب إلى أقصى حدود التعليم) وعن موقفه من اللغة العربية يرى طه حسين { أننا لا نعلم اللغة العربية لأنها لغة الدين أو لغة القدماء فحسب بل نعلمها ونتعلمها لأنها لغتنا ولغة أجيالنا القادمة }..

واللغة التي يرى طه حسين ضرورة العناية بها هي اللغة العربية الفصحى لغة القرآن والحديث الشريف ، فيقف موقفاً حازماً ضد العامية ويقول : { ولعلي أن أكون قد وفقت في هذه المقاومة إلى حد بعيد وسأقاوم ذلك فيما بقى لي من الحياة وما وسعتني المقاومة لأني لا استطيع ا ن أتصور التفريط ولو كان يسيراً في هذا التراث العظيم الذي حفظته لنا اللغة العربية الفصحى ولأني لا أؤمن قط ولن استطيع أن أؤمن بأن للغة العامية من الخصائص والمميزات ما يجعلها خليقة بأن تسمى لغة وإنما رأيتها وسأراها دائماً لهجة من اللجهات قد أدركها الفساد في كثير من أوضاعها وأشكالها وهي خليقة بأن تفنى في اللغة العربية الفصحى إذا نحن منحناها ما يجب لها من العناية وارتفعنا بالشعب عن طريق التعليم والتثقيف وهبطنا بها هي من طريق التسير والإصلاح إلى حيث يلتقيان في غير مشقة ولا جهد ولا فساد)...

وفي محاضرة ألقاها الدكتور طه حسين في مؤتمر المجامع العلمية العربية الذي أقيم في دمشق عام ١٩٥٦ عنوانها (نحو ميسر .. وكتابة ميسرة) قال فيها :{ وإذا فرضنا التعليم على كل هذه الملايين فيجب أن نبتغي إلى هذا التعليم وسائله الصحيحة التي تنتهي بها إلينا حقاً، ويجب أن لا نكلف الكثرة الضخمة التي نعلمها الآن في مدارسنا ، يجب أن يكون التعليم يسيراً وان يكون قريباً وان يكون سائغاً ، لا تجد فيه الكثرة مشقة ولا عنفاً ولا نحتاج فيه إلى هذا العناء الثقيل ، الذي يفرض على أبنائنا فرضاً} .. وفي المحاضرة نفسها قال الدكتور طه حسين :{ وبعد فأنا لا أدعوكم إلى هجر القديم مطلقاً وعسى أن أكون من اشد الناس محافظة على

قديمنا العربي ولا سيما في الأدب واللغة ولكن لم لا يكون النحو القديم والكتابة القديمة والبلاغة القديمة وكل هذه العلوم العربية التي أنشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه ، لم لا يكون هذا كله متطوراً كما تطورت اللغة نحفظ قديمه لدرس المتخصصين في الجامعات وفي المعاهد ونتيح للملايين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلموا تعلماً قريباً سهلاً ، عسى أن يتخرج من بينهم من يضيف إلى ثروة هذا القديم ويحسنه أكثر مما نحسنه نحن ويحيى هذا التراث القديم اكسر مما نحييه نحن ...